

الحرية

الحرية هي إمكانية الفرد دون أي جبر أو شرط أو ضغط خارجي على اتخاذ قرار أو تحديد خيار من عدة إمكانيات موجودة. مفهوم الحرية يعين بشكل عام شرط الحكم الذاتي في معالجة موضوع ما.

الحرية هي التحرر من القيود التي تكبل طاقات الإنسان وإنتاجه سواء كانت قيودا مادية أو قيودا معنوية، وتشمل التخلص من العبودية تجاه شخص أو جماعة أو لفكرة، والتخلص من الضغوط والاكراهات المفروضة.

الإرادة الحرة تعني قدرة الإنسان على التقرير والاختيار وانتخاب إمكانية من عدة إمكانيات موجودة وممكنة

وحرية الشعب هي تحقيقه للسيادة على نفسه، وحرية العمل والحركة والتعبير والرأي، هي حق الإنسان في اختيار ما يريد وفقا لقناعته.

تاريخ الحرية السياسية:

يعود أصل المفهوم الحديث للحرية السياسية للأفكار الإغريقية عن الحرية والعبودية، فحتى يكون المرء حرا، حسب الإغريق، كان يجب ألا يحكمه سيد، وأن يعيش كما يريد، ويرتبط هذا المفهوم بشكل وثيق مع مفهوم الديمقراطية عند أرسطو: يعتبر ذلك أحد سمات الحرية التي ويؤكد جميع الديمقراطيين على كونها من مبادئ دولتهم، بالإضافة إلى أن المرء ينبغي له أن يعيش كما يشاء، أما العكس فيكون علامة على العبودية، وتعتبر هذه السمة الثانية للديمقراطية، من حيث تعلق المطالبة بالاستقلال عن حكم أي أحد إن أمكن، وإلا يحكم الفرد بالتناوب تجنبا للطغيان. ما سبق كان قد طبّق على الرجال الأحرار فقط، واستثني العبيد والنساء، ففي أثينا لم تمتلك النساء حق التصويت أو شغل منصب، ولم يسمح لهن بالاشتراك في النقاش العام.

وتمتع سكان الإمبراطورية الفارسية بشيء من الحرية، إذ أعطي المواطنون من جميع الأديان والمجموعات العرقية نفس الحقوق والحرية الدينية، ومنعت السخرة

عام 550 ق م، وبنيت جميع قصور ملوك بلاد فارس بأيدي عمال مأجورين. كما اشتمل القانون الروماني بعض أشكال الحرية المحدودة، تفاوتت زيادة ونقصا بحسب الظروف، لكن تلك الحريات منحت للمواطنين الرومان فقط دون غيرهم (النساء والعبيد والشعوب المستعمرة). وفي العصور الوسطى كانت الأوضاع أسوأ مع النظام الاقطاعي، وتمتع ببعض الحريات أفراد طبقة النبلاء حصراً، إذ كان على فكرة الحرية العالمية الانتظار حتى عصر التنوير.

حدّد مفهوم الحرية الذي نعرفه في عصرنا الحالي في عصر التنوير، وكانت الفكرة ببساطة هي التخلص من التعصب للعقيدة وسلطة الكنيسة، والتخلص كذلك من التعميم والأحكام المسبقة، والاعتماد على الحكم العقلي المستقل عن سلطة النص الديني وتأويلاته. وحسب إيمانويل كانت فإن التنوير يعني: خروج الإنسان من سباته العقلي الذي وضع نفسه بنفسه فيه عن طريق استخدام العقل.

الحرية والثقافة:

وتعني المتطلبات الثقافية المسبقة للوصول للحرية، فليس الجميع ولا الكل مؤهلاً لها، فاقترح بعض المفكرين ضرورة وجود ثقافة فاضلة أولاً كشرط مسبق للحرية، فنجد بنجامين فرانكلين يصرح أنّ الأشخاص الفضلاء هم وحدهم المؤهلون للحرية، فبتفاهل الفساد والوحشية في الدول غير المتحضرة تتزايد حاجتها للسادة الذين يضبطون أمورهم بالقوة والقهر.

وبطريقة مشابهة أعلن ماديسون أنه من الخيال افتراض أن أي نوع من الحكومات سيؤمن الحرية أو السعادة لشعب لا يمتلك الفضيلة. من جهة أخرى أقرّ جون أدامز أن الدستور وضع ليخص الأشخاص الأخلاقيين والمتدينين حصراً، وهو غير ملائم لغيرهم.

الليبرالية:

تعرف الليبرالية حسب قاموس أكسفورد على أنها الاعتقاد بأن هدف السياسة يكمن في الحفاظ على الحقوق الفردية، وتحقيق أقصى قدر ممكن من حرية الاختيار. لكن توجد نقاشات كثيرة حول كيفية التوصل لتلك الأهداف، ويعتمد كل نقاش عن الحرية على ثلاث مكونات رئيسية:

من يتمتع بالحرية؟ وعلام تنطوي حريته؟ وما القوى التي تحد منها؟
يجادل جون غراي بأن الاعتقاد الجوهري لليبرالية يتمثل في التسامح والتقبل، إذ يتيح الليبراليون للآخرين حرية القيام بما يريدون مقابل امتلاكهم هم للحرية ذاتها، ويعد هذا المفهوم عن الحرية شخصيا أكثر من كونه سياسيا، والملاحظ أن الليبرالية هوجمت من قبل التيارين اليميني واليساري معا، هاجمها اليميني لدفاعها عن بعض الممارسات كالإجهاض، والمثلية الجنسية، والإلحاد، بينما هاجمها التيار اليساري لمناصرتها التجارة الحرة وتغول الأوليغارشيا وتفضيلها الحقوق الفردية على الجماعية.

وهناك اتجاه أقوى من الليبرالية هو الليبرتارية الذين اعتبروا قيمة الحرية هي القيمة السياسية الأولى، وعارضوا أيّ اكراه حكومي ما عدا الضروري منه لمنع الأفراد من اكراه بعضهم بعضا، وجعلوا من عدم التدخل في شؤون الفرد أساسا لفكرهم.

الاشتراكية:

يعتبر الاشتراكيون الحرية وضعاً واقعياً ملموساً وليس هدفاً مجرداً بحتاً، فعرفوها على أنها حالة وجودية يمتلك الفرد فيها المجال لتحقيق اهتماماته الإبداعية بعيداً عن إعاقة العلاقات الاجتماعية القسرية، وخصوصاً تلك التي يجد نفسه مجبراً على الالتزام بها كضرورة للبقاء ضمن نظام اجتماعي ما، وبالتالي تتطلب الحرية أمرين:

- الظروف الاقتصادية المادية التي تجعلها ممكنة

- العلاقات الاجتماعية والمؤسسات السياسية التي تقود إليها وتؤطرها.

والاشتراكيون في فهمهم للحرية متأثرون بمفهوم كارل ماركس عن اغتراب العامل عن عمله وذاته، وعدم قدرة الفرد على الانخراط في عمل خلاق نتيجة

الاغتراب، ومصطلح العمل الاغترابي يشير إلى الأعمال التي يجبر الأفراد على القيام بها، بينما العمل غير الاغترابي يدل على سعي الأفراد لتحقيق اهتماماتهم الخلاقة الخاصة التي يرغبونها.

بالنسبة لكارل ماركس، يمكن تحقيق الحرية الجادة حصراً في المجتمعات الشيوعية التي تتصف بالغنى والوفرة وحرية الوصول للموارد، إذ ستلغي ترتيبات اجتماعية كهذه الحاجة للعمل الاغترابي، فتتاح للأفراد فرصة ممارسة اهتماماتهم الإبداعية الخاصة، وبالتالي تطوير إمكاناتهم لأقصى الحدود .

كما أكد ماركس على قدرة الشيوعية على تخفيض أيام العمل، وزيادة نطاق الحرية، أو وقت الفراغ المتوفر لكل فرد.

الوجودية:

يعتبر الفرد في الوجودية حراً ولا نقاش في ذلك، حيث يقول سارتر وألبير كامو ما معناه: ترقد لعنة الحرية على الإنسان شاء أم أبى .

الوجودية هي فلسفة حرية الفرد، والحرية بنظرهم انفلات من كل القيود، وتؤكد على تفرد الإنسان، وأنه صاحب إرادة حرة وفكر حر واختيار مستقل (أنا موجود اذن أنا أفكر). أو أسبقية الوجود على الماهية.

والإنسان كفرد بهذا التصور يقوم بتكوين جوهر ومعنى خاص لحياته، وهو وحده المسؤول عنه.

وبما أن لا وجود لقوة خارجية (الاله) فالفرد حر حرية كاملة، ومسؤول مسؤولية كاملة، والحرية هي طريق الفردية للتعبير عن الوجود التي تسمح بإعطاء معنى لوجودنا في عالم ليس فيه سوى المعاناة والموت والفناء والتناهي.

نتائج منطلقها فكرة الحرية

- جانب عقلاني وهو التحرر من التحيز والتعصب الديني والمذهبي والطائفي والعنصري والاثني.

- جانب سياسي وهو تحرير الإنسان من البنيات الاجتماعية غير المتطورة.

- فصل مؤسسات الدولة عن المؤسسات العقائدية (العلمانية)، وتحديد صلاحيات

سلطة الدولة بنص حقوقي (دستور) ومراقبة المؤسسات عن طريق فصل السلطات الثلاث.

- حل ارتباط الدولة وشرعيتها بالأمر العقائدية الغيبية، والعودة الى اهتمامات الأفراد الدنيوية كعنصر أساسي، وتحقيق هذه العودة من خلال الديمقراطية (شكل الحكم القائم على حق التصويت العادل وحكم الأكثرية).

- حرية الشعوب وهو شعار رفعه السياسيون القوميون والوطنيون ضد الاستعمار والامبريالية، وكان يطمح لتحقيق الاستقلال، وحرية الشعب بالمعنى السياسي والاقتصادي والثقافي.

- الحرية السياسية تعني حرية التجمع والتظاهر والتعبير عن الرأي وتكوين الجمعيات والأحزاب وحرية النشر والإعلام.

- الحرية الاقتصادية تعني التجارة الحرة، والتبادل الحر، والملاحة الحرة، وانتقال رؤوس الأموال، وهجرة القوى العاملة، وحماية الملكية الخاصة من سلطة الدولة.
- الحرية الفكرية والأكاديمية: حرية التفكير والبحث والتعبير والنشر في الجامعات ومراكز البحث دون قيود عقائدية أو سياسية إلا ما تعلق بضوابط البحث العلمي وشروطه.

- الحرية الجنسية وتعني قدرة الفرد على تحقيق رغباته الجنسية دون ضوابط دينية أو سياسية أو اجتماعية (ضد فكرة المحرم والطابو والممنوع)، وترتبط كذلك بحرية الفرد في اختيار شكل رغبته الجنسية وجنده.

- الحرية المطلقة أو الميتافيزيقية، وهي تتعارض مع الطبيعة وقوانين الكون، وتتقضي وجود فعل إنساني متحرر من جميع العلل والاكراهات وهو ما يعد مستحيلا.

الحرية والدين

تنحو العديد من الفلسفات والأديان والمدارس الفكرية الى أن الحرية جزء من الفطرة البشرية فهناك أنفة طبيعية عند الإنسان لعدم الخضوع والرضوخ وإصرار على امتلاك زمام القرار، لكن هذا النزوع نحو الحرية قد افتقده كثير من البشر نتيجة ظروف متعددة من حالات قمع واضطهاد وظلم، أو عبودية ظاهرة أم مقنعة، أو حالة وجود معتقدات وأفكار مقيدة، أو مجرد يأس وفقدان الأمل بالتغيير.

هناك توجهات فلسفية ودينية تنكر وجود إرادة حرة عند الإنسان، وتعتبره خاضعا شاء أم أبى لسلطة قوى طبيعية أو غيبية، فبعض المدارس الفلسفية تعتبر الإنسان جزء غير منفصل ولا مفارق للطبيعة، ويخضع لجميع القوانين الطبيعية التي تصفها بالاحتمية Determinism.

كما توجد توجهات دينية تعتبر الإنسان مجرد ريشة في مهب الريح، لا يملك تقرير مصيره (القضاء والقدر)، كما في الدين الإسلامي عند الفرق التي توصف بالجبرية، وكذلك عند بعض المتصوفة .

تبرز دائما إشكالية فلسفية دينية في الجمع بين علم الخالق المطلق (حسب الاعتقاد الديني) وحرية الاختيار الإنساني، القضية وإن كانت دوما محل جدل مستمر في المدارس الفلسفية المختلفة، فإن معظم التوجهات الدينية تنحو الى مواقف وسطية تثبت العلم والقدرة المطلقة للخالق (أمر لا مفر منه في أي عقيدة دينية) لكن مع القول بحرية اختيار الإنسان (أمر لا مفر منه لإثبات مسؤولية الإنسان تجاه أفعاله، وتبرير معنى العقاب والجزاء الأخروي).

أنواع الحرية:

- الحرية السالبة والحرية الموجبة

هذا المفهوم عن الحرية يعود الى الفيلسوف إيمانويل كانت .

الحرية السالبة هي الحرية الشخصية في إمكانية اتخاذ قرار دون قيود، وهي حق طبيعي .

الحرية الموجبة هي حرية معطاة أو إمكانية معطاة ليستطيع الإنسان ممارسة الحرية السالبة وهي حق إنساني أساسي .

مثال :إذا كانت الحرية السالبة هي حرية الرأي مثلا، تكون الحرية الموجبة في هذا المثال إمكانية استخدام الإعلام لممارسة هذه الحرية، فبدون الإعلام وحرية النشر فإن صوتك الحر لن يصل لأي مكان .

- الحرية الخارجية والحرية الداخلية

الحرية الخارجية هي أمر اجتماعي عام له علاقة بالظروف الاجتماعية والسياسة .

الحرية الداخلية هي حالة فردية خاصة مرتبطة بإمكانات الفرد الداخلية الخاصة.

- الحرية الفردية والحرية الاجتماعية

الحرية الفردية هي حرية قول وإبداء وجهات النظر الخاصة والآراء الشخصية واختيار مكان العيش والعمل والدين والزواج وارتداء الملابس ما شابه.
الحرية الاجتماعية حرية المجتمع كاملا (الحريات العامة أو الجماعية).